الاسس والمنطلقات الفكرية للديمقراطية التشاورية عند يورغن هابرماس

أ.م.د عبير سهام مهدي
كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد

ملخص

تعد الديمقراطية من أهم المواضيع التي عنيت بها الفلسفة فهي مثار نقاش بين الفلاسفة ورجال الفكر والسياسة، إذ تعود الجذور الأولى لفكرة الديمقراطية إلى الفلاسفة اليونان لكن تبلورها لم يتأتى إلا مع فلاسفة العقد الاجتماعي والتي تقوم على فلسفة الذات المؤسسة على فكرة العقد الاجتماعي الذي ينتقل الإفراد بموجبة إلى الحالة المدنية لكن هذا الطرح لقي تفنيدا في الفكر السياسي المعاصر وهو ما حاول يورغن هابرماس التأسيس له من خلال نظريته حول الديمقراطية التشاورية أو التشاركية أو التداولية، ويقصد بها إحياء تقاليد المناقشة والتفكير التأملي بين أعداد كبيرة من المواطنين حول القضايا العامة حتى يتم التعرف على رأيهم فيها وعرض مايتم التوصل إليه من أراء على المشرعين وأصحاب القرار ،بعبارة أخرى يشير مفهوم الديمقراطية التشاورية إلى مفهوم الحكومة الديمقراطية التي تضمن مكانا مركزيا ومحوريا للمناقشة المنطقية الاستدلالية المؤيدة بالحجج والأدلة المقنعة في الحياة السياسية.

الكلمات المفتاحية: المنطلقات الفكرية – الديمقراطية التشاورية – يورغن هابرماس– اليوتوبيا – الليبرالية.

المقدمة:

تعد الديمقراطية من أهم الموضوعات التي شغلت رجال الفكر والسياسة عامة والفلاسفة خاصة، لذلك لا نجد فيلسوف إلا وقد أعطى الديمقراطية قسطا داخل مشروعة الفلسفي على مر التاريخ.

ونجد أن هولاء الفلاسفة كانوا مختلفين فيما بينهم من حيث تصورهم لأسس الديمقراطية، فمنهم من أرجعها إلى أسسا ميتافيزيقية، ومنهم من أسسها على أسسا دينية، أو اجتماعية أو اقتصادية، ومنهم من ربط بينها وبين اليوتوبيا، ولكن نجد أن مجمل هذه المفاهيم ارتبطت أساسا بفلسفة الذات أو فلسفة الوعي، لذا كان لـــ(هابرماس)[1] موقفا منها، فقد قام بنقد هذا الاتجاه الذاتي في تناوله الديمقراطية[1]، بعبارة أخرى حاول (هابرماس) تحرير الفكر والفعل السياسي من الخطاب المتمركز حول الذات، أو الوعي الفردي، وربطه بالوعي المشترك، إذ قرن الديمقراطية بالوعي المشترك والفضاء العمومي، أو الحوار بين ذاتي، دون أن يغلب علية الطابع الإداري البيروقراطي، أو منطق المصلحة الاقتصادية.

[1] يورغن هابرماس:فيلسوف وعالم اجتماع ألماني ولد عام ١٩٢٩، يعد من ممثلي مدرسة فرانكفورت، درس الفلسفة والاجتماع في جامعة (هايدلبرغ)، من أهم مؤلفاته: النظرية والممارسة، التقنية والعلم، نظرية الفعل التواصلي، الخطاب الفلسفي للحداثة. للاستفاضة ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط٢،دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٦.

[1] مالفي عبد القادر، مفهوم الديمقراطية عند هابرماس، مجلة أوراق فلسفية، ع (١٠)، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٣٤١.

وعليه أسس (هابرماس) لنظريته الديمقراطية فربط بين الديمقراطية ونظرية المناقشة، وقد اختار (هابرماس) في ذلك طريق مخالف عن المدافعين عن الديمقراطية الليبرالية، والديمقراطية الجماعية وهي (الديمقراطية التشاورية)، وهو يطمح من خلالها إلى تجاوز نقائص الديمقراطيتين الاوليتين والتوفيق بين المقتضى المعياري الفردي لليبرالية والمقتضى المعياري الجماعي للجمهورية، وإدماجها في صنفهم كأجراء مثالي للمداولة والقرار.

ومن هنا انطلقت فرضية بحثنا الموسوم بـــ(الأسس والمنطلقات الفكرية للديمقراطية التشاورية عند يورغن هابرماس) من أن الديمقراطية التشاورية ظهرت كرد فعل على الديمقراطية الليبرالية والجمهورية فأن أسهامها تجسد في ظهورها كبديل ثالث على هاذين التصورين.

وللبرهنة على فرضية الدراسة نطرح التساؤلات الآتية:

١- ما لمقصود بالديمقراطية التشاورية؟ وما لذي يميزها عن باقي الأشكال الكلاسيكية للديمقراطية وخصوصا الشكلين الليبرالي والجمهوري؟

٢- ما لمقصود بالعقل التواصلي؟ وبماذا يختلف عن العقل الاداتي؟

٣- ما هي أسس أخلاقيات الحوار؟ وهل يمكن لها المساهمة في حل أزمات الإنسان المعاصر؟

٤- هل تستطيع اللغة أن تحل محل فلسفة الوعي بعدّها قائمة على الحوار المبني على القول والفعل؟

وفي ضوء التساؤلات التي تم طرحها في فرضية البحث فقد تم تقسيم الموضوع إلى ثلاثة مباحث فضلا عن المقدمة والخاتمة.

تناولنا في المبحث الأول: الديمقراطية التشاورية: المفهوم، المبادئ والسمات، إما المبحث الثاني فقد بحث فيه مبررات بناء الديمقراطية التشاورية عند يورغن

هابرماس، أما المبحث الثالث والأخير فقد كرس لمناقشة المنطلقات النظرية للديمقراطية التشاورية عند يورغن هابرماس.

المبحث الأول: الديمقراطية التشاورية: (المفهوم، المبادئ والسمات)

لما كانت الديمقراطية الوسيلة ألحقه لاتخاذ القرار والطريقة المثلى للتعبير عن الرأي، تطورت لتأخذ منحى أخر وصورة تعرف بـــ (الديمقراطية التشاورية)، وعليه فأن الاقتراب من تحديد مفهوم هذه الأخيرة يكون بتوضيح معالمها وذلك من خلال توضيح وشرح مدلولها، عن طريق تبيان إطارها ألمفاهيمي في المطلب الأول، وتناول مبادئها وسماتها في المطلب الثاني.

المطلب الأول: مفهوم الديمقراطية التشاورية

من التعبيرات الحديثة في الفكر الديمقراطي مفهوم الديمقراطية التشاورية، ويقصد بمفهوم الديمقراطية التشاورية أو التشاركية أو التداولية إحياء تقاليد المناقشة والتفكير التأملي بين أعداد كبيرة من المواطنين حول القضايا العامة حتى يتم التعرف على رأيهم فيها وعرض ما يتم التوصل إليه من أراء على المشرعين وأصحاب القرار[١]، بعبارة أخرى تشير الديمقراطية التشاورية إلى مفهوم الحكومة الديمقراطية التي تضمن مكانا مركزيا ومحوريا للمناقشة المنطقية الاستدلالية المؤيدة بالحجج والأدلة المقنعة في الحياة السياسية.[٢]

---

[١] نادية محمد باشا، الديمقراطية التشاورية عند هابرماس، مجلة البحث العلمي في الآداب، ع(١٩)، جامعة عين شمس، مصر، ٢٠١٨، ص٢٠.

[٢] محمد الأشهب ، الفلسفة والسياسة عند هابرماس:جدل الحداثة والمشروعية والتواصل في فضاء الديمقراطية ،ط١،سلسلة منشورات دفاتر سياسية، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٦، المغرب، ص ١٩٥.

التشاورية هي ضرب مطور من التمثيلية المحلاة بالمباشر ونقصد بذلك أنها من خلال الانتخاب فهي تشير إلى التمثيل من خلال الفضاءات العامة ستصبح مباشرة.[٣]

يتضح من ذلك أن التشاور في معناه هو تبادل الآراء ووجهات النظر حول القضايا السياسية، فمبدأ التشاور له اثر في وحده المجتمع وتماسكه إذ بواسطته يتمكن الفرد من الاستفادة من فن الآخرين . وهكذا فأن الفكرة المحورية لمشروع (هابرماس) في الديمقراطية التشاورية هو: تأسيس الديمقراطية على أساس جماعة متواصلة خالية من أي هيمنه أو سيطرة ماعدا غلبة أفضل حجه، كما أن مفهوم التشاور المرتبط بأخلاقيات النقاش يعد مفهوما مركزيا لديه، ففي التشاور يعطى لكل عضو في الجماعة الحق في الكلام والفعل بخصوص القضايا السياسية والمطروحة في الفضاء العمومي، وفي ظل ذلك النقاش العقلاني المؤسس يتشكل الرأي العام والإرادة السياسية العامة للمواطنين في المجتمع الديمقراطي الذي يلعب فيه التشاور دورا مركزيا[١]، بمعنى أن (هابرماس) في مقولته هذه أن الديمقراطية تقوم على أساس التواصل والتفاهم داخل المجتمع، مستبعدا كل هيمنه أو سلطة، فهي لا تقتصر على فرد بعينه وإنما على جماعة وفق التشاور الذي يعطي الحق والحرية للفرد من خلال الإدلاء برأيه والنقد، وعرض أفكار جديدة عن طريق الصيرورة الخطابية المؤسسة على المناقشة وتشكيل الرأي العام، لغرض دفاعها عن مصالح الجماعة وعلى اثر هذا تبرز ملامح الديمقراطية التشاورية وسماتها من خلال

---

[٣] نور الدين علوش، فلسفة السلطة السياسية عند هابرماس،ط١،دار الرافدين ،بيروت،٢٠١٦،ص١٤٨.

[١] بلقاسم مليكش، الديمقراطية الصورية والديمقراطية التشاورية–التداولية–التواصلية عند يورغن هابرماس، في ٢٠١٩/١/٣: www.sudaress.com

المشاركة أو تدخل أعضاء تجمع (الحوار) ويعرفون بهذا الفعل بحيث تحدد إطار عملهم ونتائج حواراتهم وفق معايير يتم التوصل إليها وهذا أساس الشرعية، إذن الديمقراطية التشاورية في مجملها هي التجمع العددي الذي يرتبط بسلوكيات حياتهم اليومية فلهم عالمهم المعاش، إذ يرى أصحاب التجمع الديمقراطي إجراءات النقاش والتداول على أنها مصدر الشرعية، ويتعرف أعضاء كل واحد منهم على مايحمله الأخر من قدرات في الحوار المطلوبة بين العقول[٢]، وقد عبر (هابرماس) عن ذلك بقولة:"لذلك يجب على المواطنين أن يعوا حقهم في التواصل والمشاركة ويمارسونه بنشاط، وبالضبط وبطريقة لا ترتكز على مصطلح الشخصية بل على مصالح الجماعة ويتطلب هذا قدرا من التحفيز، ومن الأكيد أن أسباب مشاركة المواطن في تشكيل وجهات النظر والإرادة السياسية تعد من الإشكال الحية الأخلاقية والثقافية".[٣]

اعتمد (هابرماس) في صياغته وشرحه للديمقراطية التشاورية على ثلاث مفاهيم مركزية وهي:[١]

١- العقلانية: حيث أن الديمقراطية القائمة على الحوار والتواصل تكون عقلانية من خلال دور الحجج المقدمة من طرف المشاركين الآخرين.

---

[٢] عقبوبي فاطيمة وبلمهدي سميرة، مفهوم الديمقراطية التشاورية لدى يورغن هابرماس، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة الى كلية العلوم الاجتماعية / قسم الفلسفة/جامعة عبد الحميد ابن باديس، الجزائر، ٢٠١٥، ص ص٦٣-٦٤.

[٣] يورغن هابرماس، جدلية العلمنة العقل والدين، ترجمة: (حميد لشهب)، جدول للنشر والتوزيع، لبنان،٢٠١٣، ص ص٥١-٥٢.

[١] ابو النور حمدي ابو النور حسن، يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، اشراف :(د.احمد عبد الحليم عطية)، التنوير للطباعة والنشر، بيروت،٢٠١٢، ص١٩٠، كذلك ينظر: عبد الرزاق محمد الدليمي، نظرية الاتصال في القرن الواحد والعشرين، اليازوري للنشر، عمان ٢٠١٦، ص٤٦.

٢- السلطة: توجد بداخل الإدارة، وتعبر عن طبيعتها لارتباطها بالتكوين الديمقراطي للرأي وعملها لا يتوقف عن المراقبة.

٣- الرأي العام: بفضل الإجراءات العمومية يتحول الرأي العام إلى سلطة تواصلية قادرة على توجيه استعمال السلطة العمومية، فهي تعني مشاركة في التوجيه، وليس هيمنه.

أن المجتمع الذي يدعو إليه (هابرماس) هو مجتمع في حركة مستمرة من الخاص إلى الكوني، والذي تلعب فيه الحياة السياسية دور التثقيف، ومن هنا تكمن العلاقة بين الذات والأخر من خلال الاستماع، والتشاور يهتم بالصالح العام، كما نجد (هابرماس) يؤكد على الحق وهو الصراع الاجتماعي حيث لا يوجد صراع اجتماعي بدون مرجعية ثقافية، أي فاعلية تاريخية مشتركة.[٢]

يتبين لنا أن (هابرماس) يؤكد على وجود علاقة بين الذوات أي بين الذات والأخر، ويكون في إطار الاعتراف المتبادل بينهما والانتقال من العام إلى الخاص أو الكوني، كما حاول (هابرماس) أن يؤسس مجتمعا ديمقراطيا قانونيا ومحافظا على الحقوق.

فالديمقراطية تجمع بين ثلاث إبعاد أساسية هي:[٣]

-الإجماع هو الاستناد إلى توجهات ثقافية مشتركة.

-الصراع الذي يقيم الخصومة في المواجهة بعضهم البعض.

-الحل الوسط الذي يجمع بين هذا الصراع واحترام الإطار الاجتماعي ويضع حدود الصراع.

---

[٢] الان تورين، نقد الحداثة ،ترجمة:(انور مغيث)، ط، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧، ص ص٤٣٢-٤٣٣.

[٣] ابو النور حمدي ابو النور حسن، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٠٩-٢١٠.

يتبين إن الديمقراطية التشاورية تقودنا إلى مفهوم جديد للمجتمع بحيث لا تكون الدولة هي أساس في الحياة السياسية، بل التجاور والنقاش بين الإفراد وبناء الرأي العام وتشكيل الإرادة العمومية بين المواطنين. يتضح مما تقدم أن هناك عدة مميزات للديمقراطية التشاورية تتمثل في[١]:

١- الديمقراطية التشاورية تمثل تجمع مستقل ومتطور، أي مشاركة الإفراد في عملية الحوار.

٢- أن المجتمع المدني يمثل الفضاء العام حيث يقدم فيها الأفراد كافة آرائهم وكذلك تحرير من الأنظمة التقنية، فالديمقراطية تتيح للأفراد ضمان حقوقهم.

٣- إن الديمقراطية التشاورية هي ديمقراطية جمهورية، وان استعمار العالم المعيش أو فصل النظام عن العالم المعيش، يمكن التغلب عليه بالقانون، وان الشرعية القانونية ليست وسيله من اجل الهيمنة بل وسيلة لتحقيق التفاهم.

يتضح مما تقدم أن الديمقراطية التشاورية تعتبر أن الأفراد أحرارا بمعنى إن هذه الحقوق حقوق طبيعية وهي ميزه كل ذات، وان الأفراد في المجتمع متشاورين فلا يوجد مراتب ولا درجات بين الناس والديمقراطية هي بمثابة المجال الذي يتشارك فيه الإفراد عملية الحوار، ومن خلاله يتم الاعتراف بالحقوق.[٢]

---

[١] علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة: من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل، ط١، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٥، ص ص ٣٢٩-٣٣٠.

[٢]ينظر: ستيفان هابر، هابرماس والسوسيولوجيا، ترجمة: (محمد جديدي)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٢، ص١٤١.

وهكذا فأن (هابرماس) أراد خلق نظام ديمقراطي وتحقيق الحرية للأفراد وضمان حقوقهم داخل المجتمع، فالديمقراطية لا تعبر عن إرادة شخص فقط بل أرادة جماعية.

المطلب الثاني: مبادئ وسمات الديمقراطية التشاورية

أولا: مبادئ الديمقراطية التشاورية

يمكن تحديد المبادئ العامة التي تقوم عليها الديمقراطية التشاورية وفقا لمنظور (هابرماس) بما يلي:[٣]

١- سيادة الشعب: التي تكون كل سلطة سياسية منبثقة عن السلطة التواصلية للمواطنين، ويجب أن تكون هذه الاخيره مرتبطة بإجراءات ديمقراطية، توفر شروطا خاصة للحوار والتواصل، ومادام القليل من المواطنين يمكنهم أن يشاركوا في هذا النقاش المطلوب فأن الحاجة إلى التمثيل البرلماني والتنظيمات الداخلية للنقاشات وصناعة القرار تعكس بشكل دقيق الجهود لخلق شروط ملائمة للنقاش مبنية على الأغلبية الأفضل حججا فتطرح هذه الميزة فكره التعددية الحزبية. والتي تتمثل في البرلمان والأحزاب والنقابات وتتعدد أشكال التواصل بتشكل الإرادة الجماعية ليس فقط بالتفاهم الأخلاقي حول الهوية الجماعية وإنما أيضا في الوقت نفسه، بتوزيع المصالح والاتفاق العقلاني بالمعنى الغائي اختيار الوسائل الملائمة، وكذلك بالاعتماد على التبرير الأخلاقي وفحص التماسك القانوني.

٢- يتعهد البرلمان بتشريع القوانين وانجازها ويتطلب ذلك تحريك الحكومة وتوجيهها.

---

[٣] كونستانتينوس كافولاكوس، الديمقراطية والدولة الدستورية عند يورغن هابرماس، ترجمة:(صلاح الجابري)، مجلة فضاءات، ع (١٢)، اذار، ٢٠٠٣، المركز العربي لدراسات وابحاث الكتاب الاخضر، ص١١٣.

٣- مبدأ حكم القانون والفصل بين السلطات : حيث لابد على الحكومة الإذعان للقوانين وتنفيذها.

٤- بناء مجتمع مدني حر: حيث سعى (هابرماس) لبناء مجتمع مدني حر تتوحد فيه الحرية والتعددية ويرتبط بمستقبل سياسي حر ويشكل ميدانا شعبيا غير رسمي يسيطر على مؤسسات الدولة.

ثانيا: سمات الديمقراطية التشاورية: تتميز الديمقراطية التشاورية بسمات عده أهمها:[١]

١- أنها تمثل تجمع مستقل متطور باستمرار، كما يتوقع استمراريته على المدى المستقبلي.

٢- في الديمقراطية التشاورية يشارك أعضاء المجتمع في الحوار، ويعرفون بأنهم مشاركون في وجهة النظر الملائمة كما تضعه الجماعة، من مصطلحات تحدد إطار عملهم أو بمثابة محصلة حواراتهم، ووفق معايير يتم التوصل إليها من الحوار، وهذا الحوار أو المداولة الحرة بين أفراد متساويين هي أساس الشرعية.

٣- الديمقراطية التشاورية تجمع تعددي، لأعضائه المتباينة قناعاتهم والمرتبطة بسلوكهم في حياتهم اليومية.

٤- ينظر أعضاء التجمع الديمقراطي إلى إجراءات النقاش والتداول بوصفها مصدرا للشرعية ومن ثم يصبح من الأهمية وجود مصطلحات تجمعهم ليست بوصفها نتاجا لمداولاتهم فحسب بل لأنها تبدو واضحة بالنسبة لهم.

---

[١] علي عبود المحمداوي، مصدر سبق ذكره، ص ص٣٢٩-٣٣٠.

٥- بناء مجتمع مدني حر: يسعى (هابرماس) إلى بناء مجتمع مدني حر تتوحد فيه الحرية والتعددية ويرتبط بمستقبل سياسي حر ويشكل ميدانا شعبيا غير رسمي يسيطر على مؤسسات الدولة.[٢]

وفي ضوء ما تقدم فأن الديمقراطية التشاورية ترسي حق المجتمع المدني بكافة مستوياته في تأسيس فضاء عام للتداول يقدم فيه الأفراد وجهات نظرهم والحلول التي تمكنهم من التحرر من منطق الأنظمة التقنية والسلعية بعد عجز الساسة واغترابهم عن مواطنيهم، أن الديمقراطية عند (هابرماس) تتيح للأفراد حق إحكام تدخلهم في محيطهم وإسماع صوتهم وتوسيع مجال الحرية والمحاسبة، لذا لابد من أن يحدد أعضاء الجماعة السياسية قواعد وجودهم الجماعي بالمشاركة في صيرورة منصفة لاتخاذ قرار يمكن أن يكون شرعيا.[١]

المبحث الثاني: مبررات بناء الديمقراطية التشاورية عند يورغن هابرماس

لتوضيح مبررات بناء الديمقراطية التشاورية قام (هابرماس) بتحليل ونقد المنطلقات الفلسفية للتصورين الليبرالي والجمهوري وخصائصهما خاصة ما يتعلق بمفهوم المواطن ومفهوم الحق وكذلك طريقة تصورهما للإرادة السياسية.[٢]

---

[٢] نورة قدور، الديمقراطية التداولية(التشاركية) عند يورغن هابرماس، مجلة تاريخ العلوم، م(٣)، ع(٥)، جامعة الجلفة، الجزائر، ٢٠١٧، ص١٢١.

[١] علي عبود المحمداوي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣١.

[٢] خديجة زتيلي، الفلسفة السياسية المعاصرة: قضايا وإشكاليات، دار الامان،المغرب،٢٠١٤،ص١٥٦.

أن النموذج الذي اقترحه (هابرماس) (الديمقراطية التشاورية) هو بمثابة بديل أو بالأحرى تجاوز لكل من النظامين (النموذج الليبرالي والنموذج الجمهوري) بالرغم انه يستمد منهما.

وعليه تم تقسيم المبحث إلى مطلبين،يتناول المطلب الأول نماذج الديمقراطية عند يورغن هابرماس، والمطلب الثاني كرس لمناقشة نقد المنطلقات الفلسفية للنموذجين الليبرالي والجمهوري.

المطلب الأول: نماذج الديمقراطية عند يورغن هابرماس

لقد ميز (هابرماس) بين ثلاثة نماذج معيارية للديمقراطية وهي:

-الديمقراطية الليبرالية: في استعمالها الوصفي تعرف على أنها: بناء مؤسساتي للديمقراطية الدستورية، ففي النموذج الغربي ترمز إلى شكل من الحكومة التي تكون متاحة لجميع أعضاء المجتمع المدني، لهم نفس الإمكانية للمشاركة في صيرورة تّكون الإرادة الجماعية، كما تمنح المقدرة على التمتع بحقوقهم السياسية، يمنح لهم القانون المساواة ونفس القيمة لكل المواطنين بغض النظر عن طبقتهم الاجتماعية.[٣]

والديمقراطية الليبرالية على العكس من الديمقراطية الجمهورية في مسألة الأغلبية فقد دعت إلى المطالبة ومحاولة أشراك الأقليات في الحكم عبر تقسيم السلطات أو عبر تفعيل إليه المعارضة الموجهة، وهي في حقيقة الأمر تقضي بالاهتمام بحقوق الإفراد كأفراد وليس كشعب أو امة أو أغلبية لذلك يكون مفهوم الأقلية حاضر ويعد حجر الزاوية في التنظير الليبرالي ويجب أن لا يفهم من ذلك أن حق الأقلية هذا يؤخذ بإقصاء الأغلبية أو انتقاص حقوقهم بل عبر برامج

[٣] نقلا عن: عطار احمد، تجديد العقل الانواري عند يورغن هابرماس: قراءة نقدية للايدولوجيا الليبرالية المعاصرة، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)،مقدمة الى كلية العلوم الاجتماعية/جامعة وهران،٢٠١١،ص٢٣٦

تفعيل دورهم ومحاولة تمكينهم من الحكم سواء الوطني أو المحلي وهي في أصلها قائمة على المعيار الاقتصادي وملكية الفرد. ويكتسب الفرد أهمية خاصة في الليبرالية كما هو الحال عند فلاسفة التنوير والذين تبنوا فكرة العقد الاجتماعي، وتتم حماية حقوق الأفراد في الديمقراطية الليبرالية بتضمينها في الدستور ولذلك تسمى بـــ (الديمقراطية الدستورية).[١]

والنموذج الليبرالي الذي استخدمه (هابرماس) لا يقصد به الليبرالية الاقتصادية (الحقوق الفردية) وكذلك اقتصاد السوق، ومصطلح الليبرالية عند (هابرماس) يستند إلى أعمال كل من(جون رولز[□] ورونالد دوركلين[□□]) رأي مبدأ المساواة واحترام التعدد في المجتمع، يتضح أن النموذج الليبرالي يهتم بصفة عامة بحقوق الأفراد ولا يهتم بالمجتمع أو الشعب حيث نجد أن الفرد له مكانه مهمة في النظام الليبرالي بحيث تسعى الليبرالية إلى حماية الأفراد وترسيخ الحقوق واحترام كرامة الإنسان[٢].

---

[١] الديمقراطية الليبرالية، الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، في٢٠١٩/١٠/٢٠:. www.wikipedia.org

□ جون راولز(١٩٢١-٢٠٠٢):احد اهم فلاسفة الأخلاق والسياسة المعاصرين في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن أهم المفكرين الليبراليين المعاصرين، درس فلسفة الأخلاق في برنستون وحصل على الدكتوراه منها، استقر في جامعة هارفرد وعمل أستاذا للفلسفة فيها، من أهم مؤلفاته: نظرية العدالة ،وقانون الشعوب. للاستفاضة ينظر:جون راولز، قانون الشعوب، ترجمة:(ناطق خلوصي)، بيت الحكمة،بغداد،٢٠٠٦،ص أ-هـ.

□□ رونالد دوركلين(١٩٣١-٢٠١٣) من أهم مفكري التاريخ المعاصر وفلاسفته في الولايات المتحدة الأمريكية، كان أستاذا في جامعات لندن، ونيويورك، اشتهر كأحد اكبر المتخصصين في فلسفة القانون، قد ساهمت خبرته في مجال الدساتير البريطانية والأمريكية في أن تمتد نظريته الفلسفية القانونية خارج المجال القانوني البحت لتبلغ معالجة الجوانب السياسية والأخلاقية، وبهذا المعنى يتعارض(دوركلين) تعارضا كليا مع كل تقليد فلسفة القانون الوضعية التي تهتم بدراسة القانون كواقع في كليته، كما مثلت نظريته في المساواة مساهمته الأبرز في النظرية السياسية التي لا تزال إلى اليوم واحدة من المواقف الأكثر تأثيراً في القرن العشرين. ينظر، سلمى بلحاج مبروك، رونالد دوركلين: إمبراطورية الحق والقانون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، في ٢٠١٩/١٠/٢٠: www.mominoun.com

[٢] محمد الاشهب، مصدر سبق ذكره،ص٧٦.

تنطلق الديمقراطية الليبرالية من رؤية اداتية للسياسة، فالحكومة تعتبر أداة لخدمة المصالح الخاصة للأفراد ولذلك يعتبر الفضاء المفضل في الدول الليبرالية، وينتج عن ذلك تمتع الأفراد بمجموعة من الحريات السلبية (الحريات الاقتصادية) وفي ظل هذا الواقع ينظر الفلاسفة الليبراليين في تقييمهم للطابع العقلاني للديمقراطية بنوع من التشاؤم، ولهذا تلجأ الدول الليبرالية إلى استشارة الحكماء والخبراء في القضايا المصيرية.[٣]

-الديمقراطية الجمهورية: هي النظام الذي يقوم على أساس انبثاق السلطة عن الشعب أو ممارستها من قبله مباشرة أو بواسطة الانتخاب والاختيار، وبذلك فأن مفهوم الأمة والتجانس لعب دورا أساسيا فيها، وبمعيار الأغلبية في التصويت دون المراعاة أو الأخذ بعين الاعتبار مسألة الأقليات وحقوقها، أو محاولة إذابة واقع الأقلية مع توجه الأغلبية لتحقيق رأي الشعب الذي سّيكون بدوره رأي الأغلبية[١]، وعليه فهي تبحث عن الروح والإرادة الكلية الجمعية التي تمثل الشعب ورأي أغلبيته أن لم يتحصل الإجماع.

تقوم الديمقراطية الجمهورية على تصور يجعل من السياسة مكونا لمسار المجتمع وهذا ما يؤكده السعي المستمر لتحديد مواصفات ايتيقية للمواطنة بالرجوع إلى الإباء المؤسسيين (روسو، مونتسكيو، بودان) ولهذا تحصر النقاشات السياسية في النظام السياسي الجمهوري على المسائل الايتيقية التي تهدف إلى تحقيق وفاق سياسي.[٢]

---

[٣] نقلا عن: نابت عبد النور،مفهوم الديمقراطية التداولية في فلسفة يورجن هابرماس، مجلة دراسات استراتيجية، ع(٩)، ك١، الجزائر،٢٠٠٩،ص ٨٠.

[١] كارل شميت، أزمة البرلمانات، ترجمة:(فاضل جكتر)، معهد الدراسات الإستراتيجية، بيروت،٢٠٠٨،ص ١٨.

[٢] نقلا عن: نابت عبد النور، مصدر سبق ذكره، ص٨٠.

أن النموذج الجمهوري الذي قدمه (هابرماس) مخالف للعقد الاجتماعي ويؤكد على أخلاقيات المناقشة، كما يؤكد على أن المواطنة تقوم على حقوق عالمية للأفراد، بمعنى أن مصطلح (الجمهوري) لا يفهمه (هابرماس) مثلما هو متداول لدى فلاسفة العقد الاجتماعي بل يستعمله هنا كمنظور جمهوري تواصلي بديل عن المنظور الجمهوري الكلاسيكي.[٣]

-الديمقراطية التشاورية: أو النموذج التشاوري للديمقراطية، وهذا النموذج يكتسب أمكانية تجريبية تأخذ في الحسبان تعدد أشكال التواصل، التي من خلالها تتكون أرادة جماعية ليس فقط على التفاهم الأخلاقي للهوية الجماعية بل أيضا على المعادلة القبلية في المصالح والضغط القائم على الاختيار العقلاني وفق الحدود النهائية للوسائل المملوكة من قبل الإثبات الأخلاقي والتجانس.[٤]

أن (هابرماس) من خلال اظهارة لهذه النماذج يسعى لإبراز الدور التشاركي والتفاعلي للمجتمع داخل العالم المعيش، الذي يهدف من خلاله إلى بناء فضاء عمومي حر وديمقراطي تحكمه أخلاقيات النقاش والحوار المستند على اللغة، إذ ميز (هابرماس) بين عالميين: العالم المعيش وعالم الأنساق،"الأول الذي يخص العالم المعيش الذي تقوم بنياته على اللغة والتواصل، والثاني يخص عالم الأنساق الذي يخضع بالأساس للعقلنة الحسابية التي تتميز بالوظيفة والاداتية والفعالية".[١]

---

[٣] احمد صوفة، نحو ديمقراطية تشاورية بديلة، في٢٠١٩/٨/١:www.attarik.com

[٤] ابو النور حمدي ابو النور حسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

[١] نقلا عن: المصدر نفسه، ص١٩٣

المطلب الثاني:نقد المنطلقات الفلسفية للنموذجين الليبرالي والجمهوري

قام (هابرماس) بنقد المنطلقات الفلسفية للتصورين الليبرالي والجمهوري وخاصة ما يتعلق بمفهوم المواطن ومفهوم الحق وكذلك طريق تصورهما للإرادة السياسية.

-مفهوم المواطن: هناك اختلاف حول تحديد مفهوم المواطن، "إذ تتحدد منزلة المواطنين في التصور الليبرالي من خلال الحقوق الذاتية التي يمتلكها أو التي تعطى لهم من الدولة ومن خلال احترامهم لحدود الملكية الخاصة التي يضبطها القانون مع التزام الدولة بحمايتهم وعدم التعدي على ممتلكاتهم الشرعية بطرق غير شرعية، عندئذ تكون الحقوق الذاتية هي حقوق سلبية إذ تمنح الدولة هامش من الاختيار داخلهم وحيث يكون الأفراد مستقلين عن كل ضغط خارجي" ، والحقوق السياسية هنا تسمح للمواطنين بأن يؤكدوا ملكياتهم الخاصة وان يكونا أرادة سياسية وقوة ضغط تحافظ لهم على مصالحهم وان يكون لهم من يمثلهم في الانتخابات وفي البرلمان وفي الإدارة[٢].

أما في النموذج الجمهوري فنجد أن منزلة المواطنين لا تتحدد وفق الحريات السلبية وإنما من خلال الحقوق المدنية وخاصة حق المشاركة والتعبير والممارسة العمومية وتحمل المسؤولية في الجماعة السياسية، كما أن المسار السياسي لا يتوقف عند مراقبة المواطنين لنشاط الحكومة وذلك بممارسة حرياتهم والمحافظة على حقوقهم الخاصة وإنما يمتد نحو إيجاد أرضية ديمقراطية للتجاذب بين الدولة والمجتمع والنظر إلى السلطة الحكومية على أنها قدرة أصلية تتأسس عن طريق التواصل بين المؤسسات وممارسة القدرة على

[٢] مجموعة مؤلفين، ما لعدالة: معالجات في السياق العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤، ص ٣٦.

التحديد الذاتي لدى المواطنين ومن خلال حماية الدولة لهذه الممارسة عن طريق مأسسة الحرية العامة ، لذلك لا تستمد الدولة مشروعيتها من حماية الحقوق الذاتية ومن تمكين المواطن من الدفاع عن مصلحته الخاصة وإنما من ضمان مسار تكوين الرأي والإرادة من طرف المواطنين الأحرار والمتساوين باعتبارهما المصلحة المشتركة بالنسبة للجميع ، وهكذا يكون المواطن في النموذج الجمهوري أكثر فاعلية في تحقيق المصالح المشتركة من المواطن في النموذج الليبرالي الذي يظل حريصا على المصالح الخاصة والفردية.[١]

-مفهوم الحق: أن معنى النظام القانوني في النموذج الليبرالي هو الذي يسمح بتحديد ووضع الحقوق الممنوحة لبعض الأفراد وان النظام القانوني يبنى بالانطلاق من الحقوق الذاتية، بينما في النموذج الجمهوري تشتق الحقوق الذاتية من النظام القانوني الموضوعي الذي يضمن ويسمح بالاندماج في حياة مشتركة تتأسس على المساواة في الحقوق والاستقلالية والاحترام المتبادل وتعطى الأولوية لمضمون الحق الجماعي.[٢]

-طبيعة المسار السياسي: لاشك أن الطرق المختلفة للتصور ألمفاهيمي لدور المواطن والحق -مثلما يرى هابرماس- أنما هي طرقا تعبر عن الاختلاف الأكثر عمقا حول طبيعة العملية السياسية بين المذهب الليبرالي والأخر الجمهوري، فمن وجهة النظر الليبرالية فأن العملية السياسية لتكوين الرأي العام والتعبير عن الإرادة السياسية يتمان في الفضاء العمومي وبالتحديد في البرلمان ويكون عن طريق التنافس بين الفاعلين الجماعيين والذين ينخرطون في فعل

---

[١] زهير الخويلدي، ثلاث نماذج معيارية للديمقراطية عند هابرماس، الحوار المتمدن، ع(٣٨٠٤)، في ٢٠١٢/٧/٣٠: www.ahewar.org

[٢] نادية محمد باشا، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

استراتيجي بقصد الاستحواذ على مواقع السلطة ،على هذا النحو تحقق المواجهة نجاحا معقولا حينما تنتج حالة من الرضا من طرف المواطنين على الأفراد، والبرامج من خلال عدد الأصوات الممنوحة ، وهكذا يعبر الناخبون عن تفصيلاتهم عن طريق التصويت، وتمتلك القرارات الانتخابية نفس البنية التي تحكم اختيارات الفاعلين في السوق حيث يتأسس الفعل من خلال البحث عن النجاح.[٣]

أما في التصور الجمهوري فالوضع على خلاف ذلك حيث لا يخضع تشكيل الرأي العام والإرادة السياسية – في الفضاء العمومي وفي البرلمان – إلى بنى السوق وقوانين العرض والطلب والإنتاج والتبادل والاستهلاك وإنما إلى بنى مستقلة من التواصل الشعبي الموجة نحو التلاقي أو الفهم.[٤]

انطلق (هابرماس) من "الإشارة إلى أخطاء النظريتين الجمهوري والليبرالي، فبالنسبة له يقوم المذهب الجمهوري على تصور كلياني أشكالي للجماعة لا يتماشى ومقتضيات التعددية التي تتميز بها المجتمعات الحديثة"[١]، وفي مقابل النظام الليبرالي ينفي البعد الجماعي باسم النزعة الفردانية، هذا البعد حسب (هابرماس) عنصرا مكونا للعملية السياسية الديمقراطية. والخطأ الذي نجده في النموذجين السابقين أن منظور الذات لم يعد صالحا لتأويل العملية السياسية لقد أصبح مثل هذا التأويل باطلا ومن الضروري إيلاء أولوية للدراسة العلائقية

---

[٣] زهير الخويلدي، مصدر سبق ذكره.

[٤] نقلا عن: نادية محمد باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

[١] نقلا عن: شريقي انيسة، أخلاقيات الحوار في الفلسفة الغربية: يورغن هابرماس أنموذجا، أطروحة دكتوراه(غير منشورة)،مقدمة الى كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية/جامعة الطاهر مولاي سعيدة،الجزائر،٢٠١٧،ص٩٨

للتفاعلات بين الذوات، لهذا يعيد (هابرماس) تصور الأجراء السياسي كمشكلة بواسطة صياغة العمل العملي وفق قواعد الحوار وأشكال البرهنة.[٢]

يعد (هابرماس) النموذج الليبرالي على انه يكتسب أمكانية تجريبية تأخذ في الحسبان تعدد أشكال التواصل التي من خلالها تتكون إرادة جماعية ليس فقط على التفاهم الأخلاقي للهوية الجماعية بل أيضا على "المعادلة القبلية في المصالح والضغط القائم على الاختيار العقلاني وفق الحدود النهائية للوسائل المملوكة من قبل الإثبات الأخلاقي والتجانس"[٣]. فالديمقراطية الليبرالية التي تمجد الفرد على حساب الجماعة والديمقراطية الجمهورية التي تمجد الجماعة على حساب الفرد مع (هابرماس)[٤] نجده يعتبر الفرد والجماعة لا يمكن مقابلتهما كضدين وإنما يجب النظر إليهما على أساس أنهما ثنائية أساسية في التركيبة الديمقراطية وهو عمل على الأخذ بإيجابيات كلا الديمقراطيتين الحرية والمساواة والنموذج الذي اقترحه هو الديمقراطية التشاورية، وعليه فهذا النموذج الذي يقترحه (هابرماس) يرتكز على شرط التواصل الذي يمكن افتراض أن الصيرورة السياسية ستكون محظوظة لإظهار نتائج ستتم في نطاق قائم على أساس تشاوري فهذا النموذج يعتمد التواصل، ويقوم بالجمع بين سياسة حوارية وسياسة اداتية تجعل الرأي العام مؤسسة قائمة على الذات وتعطي للإرادة الجماعية المشتركة قوة المشروعية فالمسار السياسي لا يحقق نتائج عقلانية ولا يتم في شروط من التواصل إلا إذا جرى وفق النموذج الإجرائي وجسد السياسة

---

[٢] عبد العزيز ركح، ما بعد الدولة–الامة عند يورغن هابرماس، منشورات الاختلاف،الجزائر،٢٠٠١،ص١٥١.

[٣] ابو النور حمدي ابو النور حسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

[٤] شريقي انيسة، مصدر سبق ذكرة، ص ٩٩.

التشاورية وسمح بأن يكون الإجرائي هو النواة المعيارية للنظرية الديمقراطية.[٥]

وجه (هابرماس) نقدا للتصور الليبرالي والذي يتمثل في أن اعتبار الفرد على انه منعزل وسابق على المجتمع لا يقل في الحقيقة تجريدا عن تجريد الإرادة العامة في التصور الجمهوري، فضلا عن أن التصور الليبرالي للمواطنة عاجز عن احتواء تفاوتات السلطة النابعة من خارج الدائرة السياسية القانونية خصوصا من الاقتصاد، فضلا عن أن نموذجه المدني يحول دون النظر إلى ما يمكن أن تقدمة الجماعة التي تبقى دائما معتبرة بشكل أداتي من الإفراد.[١]

كما اتخذ (هابرماس) موقفا نقديا إزاء النموذج الليبرالي الذي تقوم نظرته على سلطة الدولة المنبثقة من الشعب، وتجعل من الدولة مجرد أداة لخدمة الشعب أو المصلحة العامة، وتحصرها في جهاز ضيق هو الإدارة العمومية التي تكون في مقابل المجتمع كنسق من العلاقات بين الأفراد، كما انتقد(هابرماس) الأنموذج الجمهوري لكونه انطلق من جعل الممارسة السياسية مجرد ممارسة تهدف لتخليق العلاقات بين المواطنين داخل الدولة، باعتبارهم مواطنين أحرارا متساويين فيما بينهم، ويقترح في المقابل مبدأ المناقشة كأساس للديمقراطية ، من هنا تأتي نظريته في الديمقراطية التشاورية كبديل للنظريتين الليبرالية التي تنظر إلى العملية السياسية كمسار تفاوض بين المصالح الشخصية والجمهورية التي

---

[٥] محمد الأشهب، مصدر سبق ذكره، ص ص ٧٧-٧٨.

[١] نقلا عن: عبد العزيز ركح، مبدأ الشرعية الديمقراطية من التعاقد الى التواصل، رسالة ماجستير(غير منشورة)، مقدمة إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة العقيد الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠١٧، ص ١٣٩.

تطالب برؤية جماعاتية للعملية السياسية.[٢] هذا من جانب، ومن جانب أخر تبقى المسألة الأهم في الديمقراطية التشاورية هي محاولة التأسيس لمنظومة جديدة للحقوق تحاول الجمع بين التصور الليبرالي والجمهوري وجاءت الحقوق عند (هابرماس) مرتبة كما يلي: [٣]

١- الحقوق التي تحافظ على مساواة الحريات الشخصية (الحقوق الليبرالية الكلاسيكية).

٢- الحقوق المؤسسية لمكانة الفرد داخل المجتمع السياسي وتتفرع إلى حقوق المشاركة في النقاشات والتأثير في وضع التشريعات أو ما يسمى بالحقوق الديمقراطية.

٣- الحقوق الاجتماعية التي تجعل المواطن يستفيد من شروط الحياة والتي تمكنه من التمتع بحقوقه الفردية والعمومية.

من خلال ما تقدم نفهم طبيعة الديمقراطية التشاورية التي تتأسس على نظام حقوقي يوفق بين المساواة القانونية الصورية في النموذج الليبرالي والمساواة الفعلية في النموذج الديمقراطي الاجتماعي.

المبحث الثالث: المنطلقات النظرية للديمقراطية التشاورية عند يورغن هابرماس

انطلق (هابرماس) في بناء نظريته حول الديمقراطية من سؤال جوهري مفاده: كيف يمكن للمواطنين في الدولة الديمقراطية أن يتعايشوا في شروط عادلة؟

وقد جاءت نظرية (هابرماس) في الديمقراطية التشاورية كطريق ثالث لمعقولية العملية السياسية مما يقتضي ذلك تفادي أخطاء المذهبين الليبرالي

---

[٢] فوزية حيوح، الديمقراطية التشاورية عند يورغن هابرماس، في ٢٠١٩/١٢/٣٠:www.mominoun.com

[٣] نابت عبد النور، مصدر سبق ذكره، ص ٨١.

والجمهوري، وتقوم على مجموعة من المنطلقات النظرية والفكرية وهي: نظرية الفعل التواصلي العقلاني، نظرية التواصل الأخلاقي، فكرة المجال العام أو الفضاء العمومي.

المطلب الأول: نظرية الفعل التواصلي العقلاني: تعتبر نظرية الفعل التواصلي لـــ (هابرماس) بمثابة منطق جديد في العلوم الاجتماعية، منطق يستند إلى منجزات فلسفة اللغة، ذلك لأنه رأى أن اللغة هي الملجأ الذي يمكن له أن يحدث القطيعة مع الأطروحات التقليدية في العلوم الاجتماعية المتعلقة بالوعي والذات والفعل والممارسة، أن (هابرماس) حاول أن يجتاز فلسفات الوعي العقلانية والتجريبية إلى فلسفة للتفاهم عن طريق اللغة، وهذا لان النموذجين العقلاني والتجريبي قد أفلسا في الوصول إلى نظرية واضحة وشاملة تخلو من هنات ونقائض[١].إذ وجد الملجأ في التواصل بين الذوات، وقد عبر عن ذلك بقوله:"ما أنهك هو نموذج فلسفة الوعي، ولئن كان الأمر كذلك، فأنه لابد من أن تختفي أعراض الإنهاك فعلا بالانتقال إلى نموذج التفاهم"[٢].

فالفعل التواصلي يحدد نوع من التفاعلات التي تنظم عبر اللغة هذه التفاعلات هي تواصل مابين المواطنين وبلورة القوانين التي تتحكم فيها، ولكن يجب أن يعكس هذا التواصل علاقة حرة موازية بين مختلف فئات المجتمع تهدف إلى بناء وعي حر يؤدي إلى تقوية العلاقة مابين الفرد المواطن والمجتمع، فمبدأ المناقشة السياسية كمبدأ ديمقراطي هو أساس الديمقراطية التشاورية.[٣]

---

[١] أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية، وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، رسالة ماجستير(غير منشورة)، مقدمة إلى كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية/جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ٣٣.

[٢] يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة:(فاطمة ألجيوشي)، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٥، ص ٤٥٤.

[٣] شيرزاد النجار، الأخلاق التواصلية لدى يورغن هابرماس،في٢٠١١/٧/٣:www.gulan-media.com

ويقصد بالفعل التواصلي انه:"ذلك التفاعل المصاغ بواسطة الرموز انه يخضع ضرورة للمعايير المعمول بها والتي تحدد تطلعات السلوكيات المتبادلة بحيث يكون مفهوما معترفا بها من طرف شخصين فاعلين على الأقل فحسبة الوصول إلى حقائق متفاهم عليها بين الإطراف المتحاورة).[٤]

تأسست نظرية الفعل التواصلي على ماعرف بالأنوار من خلال مهاجمة مدرسة فرانكفورت للعقل الاداتي أو عقل الأنوار، إذ نجد أن (هابرماس) كان

---

[٤] كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم، الرباط، ٢٠١٠، ص ص ١١٨-١١٩.

ظهر مفهوم العقل الاداتي في العديد من مؤلفات الفلاسفة والمفكرين السابقين على (هابرماس) أهمهم (هوركهايمر وأدرنو) في كتابيهما (أفول العقل عام ١٩٧٤ وجدل التنوير عام ١٩٧٢) وكتاب (ماركيوز)(الإنسان ذو البعد الواحد عام ١٩٦٤)، إن العقل الاداتي لدى هولاء هو منطق في التفكير وأسلوب في رؤية العالم، أي إن العالم الاجتماعي أصبح له طبيعة ثانية وأصبح كالطبيعة غير قابل للتغيير ومستقلا عن أفعالنا. ينظر: أبو النور ابو النور حسن/، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.

والعقلانية الاداتية مصطلح مركب يحتاج من اجل تعريفه إلى تعريف مفهوم (العقلانية) ومفهوم(الاداتية) ومفهوم (العقل الاداتي) كنتاج تمثل بشكل جلي مع العلم الحديث الذي اقترن بأعمال الإنسان المتولدة من حركة الآلات التكنولوجية والصناعية التي ساهمت في بسط سيطرتها على جميع مظاهر الحياة وعليه تظهر سيطرتها على الانسان بشكل مباش راو غير مباشر.

العقلانية: هي قدرة البشر على اقامة صلات منطقية بين الظواهر من اجل تحقيق قدر من السيطرة عليها وحتى ان كان الإنسان عقلانيا لابد من الانقياد للحساب، الى الحساب المنطقي والتقويم بهدف الوصول إلى الغاية المرجوة. ينظر: تيد هوتدرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ترجمة:(نجيب الحصادي)،المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، د.ت، ص ٥٩٧

أما الاداتية: فهي مذهب يقر إن النظريات العلمية ليست وصفا صادقا لواقع غير ملاحظ بل مجرد أداوت مفيدة تمكن من ترتيب وتوقع العالم الملاحظ فأقرت أن المزاعم النظرية حول ما يلاحظ لا تحتاج حقيقة إلى معنى. اما الفعل الاداتي: هو الفعل الذي تحكمه القواعد التقنية الذي ترتب عليه نتيجة متوقعة وهذا التوجه الاداتي نحو الأشياء والذي يمثل أساسا للعلم لا يرى الأشياء إلا بوصفها موضوعات يمكن التلاعب بها.

العقلانية الاداتية: هي عقلنه علمية صرفة ومتجردة تحاول تطبيق النظريات العلمية بعيدا عن القيم بشكل آلي وتكنولوجي ومعلوماتي وميدانها الأول المختبر والثاني الطبيعة والإنسان بهدف تطوير حياة الإنسان بغض النظر

ضد فلسفة الأنوار إذ كان هدفه تحرير الإنسان من الهمجية والوحشية واضعا بديلا عن العقل الاداتي وهو العقل التواصلي، أي أن (هابرماس) بنقده للعقل الاداتي أراد أن يحرره من التأمل الذاتي إذ تحول (هابرماس) من الاهتمام بالذوات والأشياء إلى قضايا التواصل والتفاهم بين الذوات بمعنى التحول من الفعل الاداتي إلى عقل تواصلي ومنه إلى التواصل البين ذاتي.[١]

إن مصطلح الاداتية عند (هابرماس) يحمل مضمونين احدهما:"انه يمثل أسلوب لرؤية العالم والمضمون الأخر: انه يمثل أسلوب لرؤية المعرفة النظرية"[٢]، مما يوضح صلة العقل بالإغراض العملية، والفعل الاداتي عنده يمثل إستراتيجية للاختزال والنظرة التماثلية للواقع وعدم اهتمامه بالخصوصية والعقل الاداتي ينظر للإنسان باعتباره جزءا يشبه الأجزاء الطبيعية والمادية فالعلاقة بينهما هي علاقة كمية (وان هذا العقل يسقط في انعدام الزمن والتاريخ وهو قادر على شيء واحد فقط هو قبول الأمر الواقع والتكيف مع الواقع والأحداث القائمة).[٣]

إن التواصل عند هابرماس هو قاعدة الحياة الاجتماعية فهو يمثل: (الممارسة الأساسية التي من خلالها يستطيع اثنان أو عدد من الناس الاتفاق حول مشروع عمل مشترك أو حول واقع متقاسم)[٤] ، تشير هذه الممارسة التواصلية إلى شكل التفاعل الاجتماعي على البحث التشاركي عن الاتفاق الذي يسمح بواسطة

عن ايجابياتها وسلبياتها المترتبة عنا ، ينظر: هاو ألن، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، ترجمة:(ثامر ديب)، وزارة الثقافة، سوريا، ٢٠٠٥، ص ٣١١.

[١] للاستفاضة حول العلاقة بين الذات والاخر ينظر:يورغن هابرماس،هايدجر والنازية :التأويل الفلسفي والالتزام السياسي، ترجمة: (عز الدين الخطابي)، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥، ص٩٨.

[٢] يورغن هابرماس، التقنية والعلم كأيديولوجيا، ترجمة:(د.الياس حاجوج)، وزارة الثقافة، دمشق،١٩٩٩،ص٤٧.

[٣] ابو النور احمد ابو النور حسن ،مصدر سبق ذكره،ص ١٣٢

[٤] نقلا عن: عبد العزيز ركح، مصدر سبق ذكرة،ص ١٤٧.

التواصل اللغوي بإمكانية تنسيق مختلف خطط العمل المتبعة فردانيا في المجتمع، وتقتضي الممارسة التواصلية التي تهدف إلى إرساء اتفاق متبادل في التفاعلات تبنى أسلوب موجه نحو التفاهم، فالتفاهم يعمل أذن كإلية تنسيق أفعال وتقوم اللغة باعتبارها وسيط التفاهم بوظيفة الاندماج الاجتماعي.[١]

قسم (هابرماس) العقلانية التواصلية كنشاط ينقسم إلى قسمين: نشاط عقلي معرفي موجب الى غاية نافعة ونشاط عقلي تواصلي تمارسه ذوات فاعلة قادرة على الكلام والأول نفعي، والثاني اجتماعي يرمي إلى تحقيق التفاهم بين الذوات، كما أن الأول أداتي والثاني تواصلي قائم على التعبير اللغوي عكس الأول الذي هو مادي استغلالي أي يستغل المعرفة كأداة لتحقيق مصلحة معينة.[٢]

وعليه فان هناك ثلاثة مسوغات للأخذ بالنظرية العقلانية التواصلية هي:[٣]

١- أن مجال الإنسانية متميز عن مجال الطبيعة لذلك لا تصلح العقلانية الاداتية وسيلة للتغيير وإنشاء علاقة إنسانية.

٢- أن فكرة العقل انتهت وجعلت من الوعي صانع وواضع المعايير بطريقة مونولوجيه.

٣- أن التواصل الإنساني العادي بين الأفراد يعاني من ادلجة وهيمنة خارجة عنه فرضها الوعي الزائف فالتواصل عبارة عن علاقة حوارية بين فئات المجتمع.

---

[١] نقلا عن: جرباح سارة،النشاط التواصلي الديمقراطية عند هابرماس،رسالة ماجستير(غير منشورة)،مقدمة الى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة محمد بو ضياف،الجزائر،٢٠١٧،ص١

[٢] خن جمال،إشكالية الحداثة والفعل الفلسفي في الفكر الغربي المعاصر يورغن هابرماس نموذجا، أطروحة دكتوراه(غير منشورة)،مقدمة الى كلية العلوم الاجتماعية/جامعة وهران،الجزائر،٢٠١٧،ص٨٦.

[٣] علي عبود المحمداوي،مصدر سبق ذكره،ص١٧٩.

فيضع (هابرماس) مفهوما للعقلانية (هو أولا استعداد الذي ترتهن عليه الذوات قادرة على الكلام والعمل على اكتساب وتطبيق المعرفة القابلة للخطأ، مادامت مقولات فلسفة الوعي تفرض فهم المعرفة بوصفها حصراً معرفة تخص أمراً ما موجوداً في العالم الموضوعي فان العقلانية تقيس نفسها بأسلوب الذات المنعزلة وهي تتوجه وفقا لمضمون أفكارها).[٤] من خلال التعريف يتجلى أن العقل بالرغم من صفته الإجرائية مبتعداً عن كل ما هو ميتافيزيقي فهو بالضرورة يكون منخرطاً في الحياة الاجتماعية لخدمة الفهم المتبادل وتكون العقلانية وسيلة لتوضيح العلاقة بين الأفراد.

وقد عد هابرماس هذه العقلانية سمة من سمات الفكر مابعد الميتافيزيقي ويطلق عليها أحيانا بـــ(العقلانية الإجرائية) أي المتجسدة في الممارسة الحجاجية، تصور هابرماس للنظرية التواصلية و(الوضع المثالي للكلام) في نطاق موقف فكري شامل يستهدف بناء نظرية المعرفة والمجتمع معا. أي نظرية تبحث في كيفية تحقيق الشروط لأي يستطيع فيها المجتمع الحديث أن يرقى قواه بالمعرفة والتقنية على أساس من الحقيقة، ويرقة بنياته المعيارية الكونية على أساس من العدل، مما دفعه إلى رفض مسلمات الأيديولوجية الوصفية والميتافيزيقية[١]، ورفض نموذج الوعي المرتبط بفلسفات الذات مفضلا عليها نموذج التفاعل المستمر بين الذوات من خلال الفعل التواصلي، أن هذا الانشغال الشامل بالحقيقة والمعيار العادل قد دفعه إلى نقد المذاهب الدينية والميتافيزيقية والوضعية وتجريرها من أي جور

[٤] يورغن هابرماس،القول الفلسفي للحداثةمصدر سبق ذكره، ص ٤٧٢.

[١] عبد القادر بليمان، دراسات فلسفية في الأخلاق والسياسة: نحو رؤية تحليلية للحالة العربية، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ٢٠١٢، ص١٨٣.

مستقبلي، لأنها أصبحت خارج الاهتمام الفلسفي للخطاب العقلاني الحديث، ولم يبقى من بديل إلا العقل الإجرائي التواصلي أي مجموعة القواعد والمعايير التي تتضمن الطابع الديمقراطي الصارم للحوار، فالنظرية التواصلية تفتح الحوار بتخليصه مما اسماه هيجل بـــ(الكلية الأخلاقية) ومن مقدمات فلسفة الوعي، وتسمح للإفراد بالاندماج الاجتماعي الديمقراطي في المعايير الكونية للعدل ولاحقيقة من دون أكراه خارجي وفقا لأفضل الحجج.[٢]

المطلب الثاني: نظرية التواصل الأخلاقي

اهتم (هابرماس) بسؤال الأخلاق ليس في بعده الميتافيزيقي بل في بعده التواصلي واصطلح عليها مايسمى بـــ (ايتيقيا النقاش) أو (أخلاقيات النقاش) فالمعايير الأخلاقية هي تلك التي يقبلها أعضاء الجماعة التواصلية المعنيون بها بحيث تراعي مصالحهم المشتركة.[٣]

أن مفهوم (الايتيقيا) هو بحث في الفلسفة وكذلك استكشاف لعلوم الإنسان المتعلقة بالقيم السلوكية وهو مفهوم قديم منذ أفلاطون وأرسطو...الخ لكن الذي تغير في هذا المجال هو المعنى المقارب للمعاصرة، والايتيقيا هي الجهد النظري المبذول لبلورة المبادئ التي تنظم العلاقات معها فيما تحافظ الأخلاق بمهمتها التاريخية وهي وضع المبادئ موضع التطبيق والممارسة وان مفهوم (ايتيقيا المناقشة) ومفهوم التواصل توجد علاقة جدلية بمعنى لا يمكن أن نفهم احدهما فهما حقيقيا دون العودة إلى الأخر[٤]، وقد عبر

---

[٢] نقلا عن: بلقاسم ملكيش، مصدر سيق ذكره.

[٣] نادية محمد باشا، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٦-١٧.

[٤] يورغن هابرماس،ايتيقيا النقاش ومسألة الحقيقة، ترجمة:(عمر مهيبل)، الدار العربية للنشر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠، ص٧.

(هابرماس) عن ذلك بقولة:" أن الإنسان ايتيقي تواصلي انطلاقا من أن التواصل بمختلف تجلياته المادية والدلالية هو الرمز الدال من رموز المرحلة المعاصرة ، ويكفي أن العالم المادي ذاته صار قرية صغيرة، فكيف إذا تعلق الأمر ما هو نظري قابل للتجريد ، فالتواصل يلامس حقول معرفية متعددة كالسيوسولوجيا النظرية ومبحثها العام ايتيقيا المناقشة".[١]

وهكذا فأن الفرد هو صانع للأخلاق وهو يشكل بذلك تواصل مع ذاته وبين الآخرين ، وكما هو واضح أن التواصل هو بمثابة تجلي العصر المعاصر، وان التواصل مرتبط بـــ (ايتيقيا المناقشة) أي أخلاقية النقاش.

تكمن (ايتيقيا النقاش) في كونها تجربة حوارية تفحص القواعد التي هي موجودة أصلا في العالم المعيش، ومنة التمييز بين وجود القواعد وتبريرها أي أن (ايتيقيا النقاش) هي في الأساس مشروع تبرير، رغم ذلك يلح (هابرماس)على واقع انه ليس في إمكاننا الذهاب بعيدا في عملية التمييز بين وجود وتبرير القواعد، فالوجود الاجتماعي لقاعدة ما يتبعه حد أدنى من الاعتراف من الأفراد، وفي هذه الحالة وبما أن هذا الاعتراف مرتبط دائما بإمكان بيان صلاحياتها فأن الوجود الاجتماعي لقاعدة ما يتطلب دائما ضرورة تبريرها، ولأنها تمنح أسباب قبول بعض المعايير فأن (ايتيقيا النقاش) تقوم بوظيفة اجتماعية، أنها توفر المعيار الذي يسمح بتحديد ما أذا كانت قاعدة ما صالحة أم لا وتجعل ممكنا نقد القواعد المشتركة.[٢] وعليه أذن يمكن فهم (ايتيقيا النقاش) على أنها الفضاء الذي تتولد فيه مجموع

---

[١] المصدر نفسه،ص٨.

[٢] نقلا عن: عبد العزيز ركح، مبدأ الشرعية الديمقراطية من التعاقد إلى التواصل، مصدر سيق ذكره،ص١٤٤.

القواعد والمعايير الهادفة إلى إرساء مساواة وحرية المواطنين الذين يشاركون في الحوار الذي غايته تحديد مبادئ مجتمع عادل.

واستنتاجا لما سبق يمكن إبراز بعض المميزات الأساسية (لايتيقيا النقاش) في النقاط التالية:[٣]

١- أن ايتيقيا المناقشة هي ايتيقيا متواضعة لا تدعي تفسير الظاهرة الأخلاقية في كليتها بل فقط في البعد التذاوتي الكوني منها أي البعد المتعلق بالقواعد المطلوبة وليس بالمقترحات الخاصة بالحياة الحسنة التي تتوقف هي على أشكال حياة الشعوب والأفراد.

٢- أن ايتيقيا المناقشة هي ايتيقيا كونية بحيث أن الذي يثبت القضية التالية : (هذه القاعدة صالحة أخلاقيا) يدعي في الوقت نفسه انه يملك حججا تسمح بإقناع أي شخص معني بالصلاحية الأخلاقية لهذه القاعدة مادام الحوار العقلاني ممكنا.

٣- أن ايتيقيا المناقشة هي ايتيقيا معرفية فهي تؤمن بأن الصدقية المعيارية يمكن أن تكون موضوع معرفة، بمعنى أخر أن مجال القواعد (المعايير) يحتوي على نوع من الحقيقة والموضوعية التي يمكن مقاربتهما من خلال البرهنة والحجاج.

٤- تسّطر ايتيقيا المناقشة الخطوط العريضة لعقل عملي يسعى في المجال السياسي الى الدفاع عن الديمقراطية.

لقد كان الغرض الأساس لـــ (هابرماس) في مسألة الفعل التواصلي هو تحرير الفكر من الخطاب المتمركز حول فلسفة الذات وربط هذا الفعل بالأخلاق

[٣] نقلا عن: المصدر نفسه، ص ص ١٤٥-١٤٦.

ولذلك أصبحت الأخلاق التواصلية من المحاور الأساسية في فلسفته، وفي هذه المحاولة يهدف (هابرماس) إلى إقامة إطار نظري نقدي لتكوين الإرادة الحرة العاقلة. في هذا الفعل الأخلاقي التواصلي هناك دور مهم للغة والتواصل عبر اللغة في الحياة الاجتماعية والسياسية وفي هذا تمكن (هابرماس) من أعادة بناء نظرية أخلاقية للتواصل عبر اللغة[١].فاللغة الوسط الذي من خلاله يتفاهم الذين يرغبون في التواصل. إذن فأن الفعل التواصلي يحدد نوع من التفاعلات التي تنظم عبر اللغة.هذه التفاعلات هي تواصل مابين المواطنين وبلورة القوانين التي تتحكم فيها، ولكن يجب ان يعكس هذا التواصل علاقة حرة موازية بين مختلف فئات المجتمع تهدف إلى بناء وعي حر والذي يؤدي إلى تقوية العلاقة مابين الفرد المواطن والمجتمع بحيث لا تحكمه الإيديولوجيات المفروضة من قبل الأنظمة السياسية وتعمل على كشف وإزالة الزيف والتزييف، أن هذا التناغم مابين الإنسان ووعيه من جهة والمجتمع ووعيه من جهة أخرى يشكل مدخلا للمجتمع الجديد المبني على الفعل التواصلي والعقلانية.[٢]

وهكذا ووفقا لـــ(هابرماس) نستنتج: بأن هناك علاقة ضمنية بين نظريته التواصلية ومقاربته في (ايتيقيا النقاش)، فإذا بدت نظرية (ايتيقيا النقاش) كنظرية أخلاقية تستند على نظرية الفعل التواصلي فأن ذلك يعني أن هذه (الايتيقيا) هي (ايتيقيا حجاج حواري)، وبطريق اللغة وقوة الإجماع تظهر هذه العلاقة بوضوح فيما يسميه (هابرماس) الوضعية المثلى للكلام، وعلية يمكن القول أن النقاش هو أساس التواصل والتفاعل الوحيد المتبقي لربط الأفراد وتمتين أواصر العلاقات الاجتماعية والهدف هو الوصول إلى تقريب وجهات النظر، هذا من جانب ،

---

[١] شيرزاد النجار، مصدر سبق ذكره.

[٢] المصدر نفسه.

ومن جانب أخر، ربط (هابرماس) في كتابة نظرية الفعل التواصلي "الديمقراطية بنظرية المناقشة والحوار التي لا تنفصل في حد ذاتها عبر التواصل أو الفعل التواصلي، ويتفق المتحاورون على التنسيق بين برامج عملهم وذلك من خلال التفاعلات التي تتم بينهم والتي يؤكدها التواصل".[١]

أكد (هابرماس) على "أن النموذج المرغوب فيه للديمقراطية هو الذي يُمكن كل المواطنين من التعبير عن أفكارهم وانتماءاتهم الثقافية والعُرفية ويمكنهم كذلك من التفاهم على اقتراحات مقبولة من الجميع، هذا النموذج لا يمكن له أن يتأسس إلا أذا ارتبط بالمناقشات العمومية"، وهذا ما حاول (هابرماس) تنظيره من خلال ربطه الديمقراطية بنظرية المناقشة.[٢]

فنظرية المناقشة (الحوار) تربط الديمقراطية بمفاهيم معيارية، هذه المفاهيم أكثر قوة من ذلك النموذج الليبرالي، فالنموذج الليبرالي تقوم نظرته على سلطة الدولة المنبثقة من الشعب ولا تستطيع أن تمارس سلطتها إلا في ظل دولة القانون التي تقوم على الانتخابات أو الاستفتاء كما أكد على ذلك (ماكس فيبر) في كتابة (العالم والسياسة)، وهذا خلاف النظام الجمهوري الذي يوضح أن الشعب له وجود محتمل، وعلى ذلك "أن تكوين الإرادة الديمقراطية ضمن التفاهم الأخلاقي – السياسي الذي يتضمن الهوية الجماعية داخل المجموعة البشرية".[٣]

هذه الانتقادات التي وجهها (هابرماس) للديمقراطية الليبرالية، جعلت (هابرماس) يتصور الحل في استخدام نظرية المناقشة أو الحوار فهي تأخذ من التصورين السابقين عناصر وتركب بينهما في صيغة جديدة وبالاتفاق مع

---

[١] نقلا عن: ابو النور حمدي ابو النور حسن، مصدر سيق ذكره،ص١٨٩.

[٢] يورغن هابرماس، التقنية والعلم كأيديولوجية، مصدر سبق ذكره،ص٧٨.

[٣] المصدر نفسه، ص٧٩.

الجمهوري تعطيه مرتبة مركزية لمسار تكوين الرأي والإرادة السياسية، لكن بدون ضبط تصبح دولة القانون ظاهرة ثانوية، بل بالعكس هي تدرك مبادئ هذه الدولة كإجابة عن معرفة كيفية تأسيس الصورة الضرورية للتواصل وتطالب بالتكوين الديمقراطي للرأي والإرادة".[٤]

ويسترسل (هابرماس) في توضيحه للممارسة الديمقراطية واستنادها على أخلاقية المناقشة والتواصل، فالعلاقة التواصلية تقييميه تجريبية فهي تقييميه لأنها تعتمد على قيم أخلاقية ثابتة يمكن الاتفاق عليها، وهي تجريبية لأنها مستمدة بتجارب يومية تعبر عن العالم المعيش، من خلال هذا الجانب لا يختلف (هابرماس) عن تقاليد فلاسفة الأنوار عندما ينتقل من الخاص إلى العام.[٥]

المطلب الثالث: فكرة المجال العام (الفضاء العمومي)[□]

من الميادين التي ظهرت أراء (هابرماس) السياسية عامة والمتعلقة بالديمقراطية بصفة خاصة ميدان المجال العام، وهو ميدان يجتمع فيه المواطنون لتبادل الآراء ومناقشة ونقد القضايا السياسية، فهذا المجال العام لم يكن جزءا من المجتمع المدني فقط، بل هو وسيطا بين هذا المجتمع والدولة، وهذا ما أكد عليه

---

[٤] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٥] مالفي عبد القادر، مصدر سبق ذكره،ص٣٤٤.

□ يعد مفهوم العمومية من المفاهيم المتداولة في الفلسفة المعاصر، أي ان هناك ترابطا بين الإنسان والعالم، وتعود جذور التفكير في العمومية الى (كانت) الذي عن العقل (تجرأ في استعمال عقلك) تلك الجرأة التي تفرض الشجاعة والإرادة والمسؤولية والاستقلالية، اذ ميز (كانت) بين الاستعمال الخاص والاستعمال العمومي للعقل، وعلة هذا تكون العمومية عند (كانت) مثلت السلطة لضمان الأخلاق والسياسة ويمثل بالنسبة له استخدام العقل بشكل سليم وهو الوحيد القادر على تفعيلة بين الناس،اما استخدامه يكون مجددا وسليما، اخذ (هابرماس) من (كانت) فكرة الفضاء العمومي، اذ عدّ (هابرماس) (كانت) هو المؤسس الاول للفضاء العمومي، غير ان (هبرماس) اضاف على (كانت) ما يعرف بالحوار الذي كان يسعى من ورائة الوصول الى الإجماع. للاستفاضة ينظر: رشيد العلوي، الفضاء العمومي من هابرماس الى نانسي فريز، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ٢٠١٤، ص٢،في٢٠١٧/١/١٨:.www.mominoun.com

(هابرماس) بقوله:"ان المجال العام في ظهوره على القانون المدني الذي ينظم العلاقات بين مواطني المجتمع، والحقيقة أن العكس هو ما حدث فتطورات القانون المدني والتشريعات الديمقراطية في أوربا لم تعمل إلا على ضمان الحريات الممارسة في مجال عاما قائما بالفعل وعلى ضمان استلال هذا المجال وتأمين خصوصيته".[١]

يعرف (هابرماس) المجال العام: باعتباره مساحة اجتماعية تتيح لأفراد المجتمع النقاش الجماعي وتكوين رأي عام فيما يتعلق بالمصالح والقضايا المشتركة بينهم الوصول إلى توافق بشأن المصلحة العامة وكيفية تحقيقها[٢]. ويضيف قائلا: المجال العام هو ذلك الميدان الذي يفسح المجال للمواطنين بأن يعبروا عن أرائهم بكل حرية وبدون تقيد وهذا ما يؤدي إلى أقامة تواصل عقلاني، وهو مجال يختلف عن مجال البرلمان الذي هو جزء مهم من مؤسسات الدولة ويدين بالولاء للسلطة السياسية فهو مختلف لأنه مجال نقي للمواطنين ويدين بالولاء للشعب.[٣]

يعمل (هابرماس) على تكوين فضاء عمومي والذي يعتبره مفتاح الديمقراطية والذي يكون وسيطا بين المجتمع المدني والدولة ويجمع الأفراد في رأي عام يسمح بتبادل عقلاني للأداء ووجهات النظر ويوحدهم في رأي عام مفتوح ويكون وسيلة للضغط على دولة الرفاه، الذي أفسدته بفضل العلم والتقنية، ووسائل الدعاية واللهو والتسلية ومحاولة إعادة بناء الديمقراطية الجماهيرية، فهذا الفضاء هو الفضاء المفتوح الرمزي ويتكون عبر زمن عن طريق

---

[١] نقلا عن: ابو النور حمدي ابو النور حسن، مصدر سبق ذكرة،ص١٩٤.

[٢] نقلا عن: نادية محمد باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.

[٣] شيرزاد النجار، مصدر سبق ذكره.

منظومات القيم والاتصال والاعتراض والتفاهم[١]، بحيث يعكس حقيقة الديمقراطية التي تعبر عن أراء ومصالح وإيديولوجيات مختلفة، ويفترض أن يتمتع الأفراد بالاستقلالية التي تعكس جميع أراء النخب والأحزاب والتنظيمات الحكومية، كما يفترض استقلال الأفراد تجاه العائلة والحزب والجمعيات السياسية حتى يتمكنوا من تشكيل سلطة الكلمة بدل العنف والصراع الطبقي .[٢]

يحدد (هابرماس) مجموعة من السمات والخصائص التي يجب أن يتسم بها الفضاء العام وهي:[٣]

١- المساواة وعدم التمييز: فالمجال العام يقوم على تكوين علاقات وصلات اجتماعية بين الإفراد المختلفين تتأسس على المشترك الإنساني والمساواة وتفوق الحجة الأقوى وليس التراتبية الطبقية وبعيدا عن تأثير القوة أو النفوذ الاجتماعي أو الاقتصادي أو المنصب العام.

٢- المساواة في توفير شروط الانخراط في النقاش العام، وذلك عبر إتاحة المعلومة وإمكانية الحصول عليها بحرية.

٣- المساواة في حق اختيار المواضيع المناقشة، ومراقبة جدول أعمال وأولويات برنامج المناقشة السياسية العامة.

وهكذا تتأسس العملية التشاورية للديمقراطية إذ يساهم كل أفراد المجتمع في بلورة رأي عام من خلال المناقشة الحرة والنقد العقلاني للقضايا والشؤون السياسية وهذا لا يتيسر ألا أذا تحرر الرأي العام والعقل من هيمنة السياسية. من

---

[١] عصام عبد الله ، رهان الحداثة وما بعد الحداثة، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص ص١١٢-١١٣.

[٢] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٣] علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية :كشف لما هو كائن وخوض في ما ينبغي للعيش معا،ط١،دار الروافد الثقافية،بيروت،٢٠١٥،ص ص ١٨٧-١٨٩.

هنا يطالب (هابرماس) بتحرير الفضاء العمومي من كل العوائق الأيديولوجية والأوهام سواء الوضعية أو العلموية أو الماركسية وذلك عن طريق انفتاحها على باقي المعارف وكفها عن الادعاء الكلاسيكي بقدرتها على أدراك الحقيقة لوحدها لان الحقيقة أصبحت مسألة اجتماعية تساهم فيها عدة أطراف مشاركة.[٤]

الفضاء العمومي هو الوسيط الحقيقي بين النظام السياسي من جهة والقطاعات الخاصة للعالم المعيش ومنظومات الحركة المتخصصة وظيفيا من جهة أخرى، ومادامت الضمانات المؤسساتية أيا كانت أهميتها عاجزة عن حماية الفضاء العمومي والمجتمع المدني من كل تشويه، فأن (هابرماس) يستنتج بأنه يجب حماية البنيات التواصلية في الفضاء العمومي بواسطة مجتمع مدني حيوي، يمكنه ظروف أخرى ممارسة تأثير في الفضاء العام لغرض زعزعة التنظيمات البرلمانية والحكومات وبالفعل في الفضاءات العامة للديمقراطية الغربية التي تهيمن عليها وسائل الأعلام يتحسس المجتمع المدني بأشكاله المختلفة المشاكل ويكتشفها. ورغم أن الإشارات التي يصدرها عموما ضعيفة جدا كما يبين (هابرماس) لكنها تسمح في أجال سريعة بإعادة توجيه مسارات القرار المأخوذ من قبل.[١]

وهكذا فان النموذج التشاوري للديمقراطية يعيد الاعتبار للممارسة السياسية عن طريق الانخراط الفعلي لكل المواطنين للفضاء بحيث أن الديمقراطية التشاورية تستدعي توسيع الفضاء العمومي باعتباره فضاء للمناقشة الحرة غير النظامية بين المواطنين فهذا الفضاء يتم فيه طرح القضايا السياسية ومناقشتها

[٤] نقلا عن: نادية محمد باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

[١] نقلا عن :المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

دون ان يغلب عليها الطابع الإداري أو المصلحة الاقتصادية فهو فضاء خال من أي منطق مهيمن اقتصاديا أو بيروقراطيا وإنما يتبلور فيه الرأي العام والإرادة العامة عن طريق إليه النقاش والحوار لان التداول أو التشاور يعطي لكل فرد أو مشارك في المناقشة حق النقد وحرية التعبير في الفضاء العمومي الديمقراطي، وفي ظل هذا أكد (هابرماس) على ضرورة التفاهم داخل السياق التواصلي العقلاني الذي يضبط العلاقة بين المعرفة والسلطة وبين المعرفة والرغبة التي تعتبر شرط حاسم في خلق الإجماع الحقيقي الذي يستطيع الفرد من خلاله المناقشة.[٢]

الخاتمة:

وفي ختام بحثنا الموسوم بـــ (الأسس والمنطلقات الفكرية للديمقراطية التشاورية عند يورغن هابرماس) توصلنا الى النتائج الآتية:

١- الديمقراطية التشاورية التي أشاد بها (هابرماس) تأتي وراء رغبته وطموحة في التغيير الجذري ورفضه للديمقراطيات السابقة والتغيير الذي تكلم عنه هو عبارة عن تغيير سلمي ويتم هذا بصورة واعية ومقصودة وفق شروط التواصل داخل الفضاء العمومي وسيادة أخلاقيات النقاش وبالتالي خلق نوع من التواصل مع الأخر ، والجديد هنا الذي نلمسه في فلسفته حول الديمقراطية، هو بإقراره بالديمقراطية التشاورية بدل الديمقراطيتين الليبرالية والجمهورية والتغيير الذي قصده ليس التغيير الثوري وإنما التغيير الذي أراده هو أن يتم ضمن دائرة الحوار في فضاء عمومي يسوده التواصل.

---

[٢] محمد نور الدين افاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: هابرماس نموذجا،ط٢، افريقيا الشرق، بيروت، ١٩٩٨،ص١٧٧.

٢- الديمقراطية الحقيقية هي تلك الديمقراطية التي تسمح للمواطنين، التعبير عن أفكارهم والتصريح بانتماءاتهم الثقافية والعرفية وهذا يتحقق في إطار الفضاء العمومي الذي يسمح بالمناقشات العمومية، فـ (هابرماس) يريد تأسيس ديمقراطية على أساس جماعة مثالية للتواصل.

٣- العقل التواصلي:هو مفهوم صاغة (هابرماس) لمحاولة تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل ،وهذا العقل لديه فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات، والعقل الشمولي المنغلق الذي انه يتضمن كل شيء والعقل الاداتي الوضعي الذي يفتت ويجزئ الواقع ويحول كل شيء إلى موضوع جزئي حتى العقل نفسه.

٤- إن الديمقراطية التشاورية عند (هابرماس) هي رؤية سياسية قابلة للتحقق في المجتمعات الليبرالية ذات التقاليد الديمقراطية، وان كانت رؤية لا تخلو من الأبعاد المثالية الطوباوية مثلها في ذلك مثل إي نظرية فلسفية أخرى في مجال الفلسفة السياسية مما جعلها عرضة لانتقادات بعض المفكرين[1]، لكن من منطلق انها تقدم إجراءات هي بمثابة شروط يمكن

[1] رغم الإسهامات العديدة الذي قدمته نظرية الديمقراطية التشاورية إلا أنها تحمل بعض القصور في جوانبها النظرية مما جعلها عرضة للنقد من بعض المفكرين أمثال:(اكسل هونيث)،الذي نعت نظرية (هابرماس) بأنها نظرية صورية وان ما يدعو اليه مجرد وهم . كذلك المفكر (فريدريك فاندنبرغ) الذي اعتبر أن مقاربة (هابرماس) يوتوبية يطغى عليها الطابع المعياري ولا يمكن تحقيقها على ارض الواقع خاصة في ظل مجتمع يتسم بدرجة عالية من التعقيد وتضارب المصالح. كذلك (ألان تورين)الذي عارض فكرة ربط السياسة بالمناقشة السياسية قائلا: أننا لم نعد بحاجة لديمقراطية تشاورية بل لديمقراطية تحررية وقد أعاد الاعتبار لما يسميه بسياسة الذات خلافا لفكرة البين ذاتية التي تشكل حجر الأساس في الديمقراطية التشاورية لدى (هابرماس). للاستفاضة ينظر: حسن مصدق، يورجين هابرماس ومدرسة فرانكفورت: النظرية النقدية التواصلية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٥، ص ١٦٧.

الانطلاق منها لإيجاد الحلول الممكنة تشكل دعامات تجعل من الديمقراطية التشاورية نظرية قابلة للتحقق على ارض الواقع.

وهكذا فأن الديمقراطية التشاورية ساهمت بشكل كبير في تطوير الفكر السياسي المعاصر نظرا للطرح الذي جاءت به، من منطلق نقدها للديمقراطية الليبرالية والجمهورية فقد استطاعت التأسيس لخيار ثالث للشعوب الرافضة للنموذجين.

Abstract

Democracy is one of the most important subjects of philosophy. However, this argument has been refuted in contemporary political thought, which Jürgen Habermas tried to establish through his theory of consultative, participatory or deliberative democracy. Citizens on public issues to be identified on their opinion and display Maeetm reached the views of the legislators and decision-makers, in other words, the concept of deliberative democracy refers to the concept of democratic government, which ensures a central and pivotal place logical to discuss evidentiary supporting arguments and evidence disguised in political life.